Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٥، العدد ١، ربيع ١٤٤٠هـ
صفحة ١٣٥- ١٥٦ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

شعرية المفارقة في خطاب بشرى البستاني السياسي

عزت ملا ابراهيمي[1*]، علي باقر طاهري نيا[2]، حسين الياسي[3]

١. *أستاذة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران*
٢. *أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران*
٣. *طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران*

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/١٢/٢٨؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٥/٧)

الملخّص

ليست المفارقة لعباً لغوياً مجرداً عن الفاعليّة والتأثير ووسيلة لتوليد الدلالات في المسارات المنعرجة التي تبعد النص الشعري عن الخطابيّة بل هي استراتيجيّة نصيّة يعتمد عليه الشاعر لشعرنة التشكيل ولزيادة المعاني في منطقة التلقي ومرتكزه لتثوير المشاعر والنهوض بها بإثارة الدهشة عند المتلقي. وقد اعتمدت بشرى البستاني في خطاباتها على تقنية المفارقة التعبيرية لتجسيد تناقضات الواقع العراقي في زمن الدكتاتورية وعند الاحتلال الغاشم الأمريكي. البحث هذا يتناول موضوع المفارقة في خطاب الشاعرة السياسي معتمداً على المنهج الوصفي - التحليلي من خلال دراسة تمظهرات المفارقة في خطاب بشرى البستاني وبيان ما يشعّ عنها من الدلالات والإيحاءات لتبيين الفاعليّة التي تتركه المفارقة في النص الشعري وأهم ما توصل إليه البحث هو أن خطاب بشرى البستاني استخدم شتّى أنواع المفارقة: اللفظية، مفارقة النغمية أي السخرية، التصويرية ومفارقة السلوك والدرامية للتعبير عن البعد الإحباطي للعراق في زمن البعث وعند الاحتلال حيث شهد العراق ترديا في كل المجالات ولسخرية من حكام العرب الذين يتحملون مسؤولية هزيمة الأرض العربية ويمكن أن يكون للمفارقة دوراً تحفيزياً من خلال إبراز التعارض بين ما يفعله المثقف وما يصدر عنه في ظروف المحنة والمكابدة أو الحاكم العرب وما يجب أن يكون عليه وهذا النوع من المفارقة يأتي في إطار مفارقة السلوك أو السخريّة.

الكلمات الرئيسة

الشعر العراقي الحديث، بشرى البستاني، المفارقة، الخطاب الشعري.

---

* الكاتب المسؤول
Email: mebrahimi@ut.ac.ir

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

إن الشعر المعاصر يتميز عما قبله بكثرة التقنيات الفنية التعبيرية الموظفة فيه ومن أبرز التقنيات التعبيرية التي يطفح به الخطاب الشعري الحداثي، هو تقنية المفارقة بوصفها أداة مهمّةً في إبراز الوجه الجمالي والدلالي للنصوص المعاصرة ونرى الشعراء المعاصرين يوظفونها ويعتمدون عليه في البيئات الشعريّة التعبيريّة وذلك لدورها المهم الذي تضطلع به المفارقة في إضفاء الشعرية والموضوعية إلى النص الشعري. لا تأتي المفارقة في النص الشعري المعاصر بعيدةً عن العقلانيّة الشعريّة بل هي تصدر عن وعي شعري عميق (يجمع بين المتضادين أو بين اللفظين بينهما الغربة الدلاليّة أو بين الفاعل والمفعول في اطار الانزياح الدلالي أو يزيح الخصوصيّة الاصلية للشخصيّة والاشياء كما في المفارقة التصويرية والسلوكيّة) يهدف إلى منح النص والقراءة قدراً كيرا من الحركيّة وزرع الفاعليّة والتأثير في منطقة التلقي وللنهوض بالمشاعر وتعميق المعاني النصيّة. لقد برزت المفارقة من بين المفاهيم والتقنيات الحديثة في النقد كـ(الأسلوبية، والألسنية، ونقد استجابة القارئ ونظرية التلقي) فوجدت لها مكانا رحباً تحت مسميات أخرى كالمفاجآت والتوقع والانتظار وأكبر أثر تدركه المفارقة في النص وفي المتلقي معاً هو أن المفارقة تجعل المتلقي أكثر وعيا بما يؤشره النص الشعري. إذن المفارقة من أهم المرجعيات النصية في الخطاب الشعري المعاصر والتي يعتمد عليها الشعراء المعاصرون لتقوية المعنى الخفيّ وبلورته برفض المعنى الظاهر وإنها إلى جانب دوره في تحقيق الجانب الابداعي للنص الشعري، تساعد المنتج وصانع المفارقة في بلوغه الهدف التواصلي كما تفتح مجال التعدد الدلالي للنص ويمنحه المتلقي متعة القراءة والمفارقة الى جانب فتح أبواب النص الشعري على التعدديّة الدلاليّة تعمل على إثارة الدهشة عند المتلقي وهي بهذه الخصوصيّة تعدُّ من أهم مرتكزات الشاعر للتوصل إلى الشعريّة والحرفنة في التعبير الشعريّ «فالشعريّة الحقيقيّة تكمن عند بشرى البستاني بوصفها ناقدة حداثية في اثارة الدهشة عند المتلقي» (البستاني، ٢٠١٥: ٩٥) في مستوى المعنى والمبنى والمفارقة تسير في هذا الاتجاه في النص الشعري عند بشرى البستاني اذ تعمل على اثارة الدهشة عند المتلقي وزيادة في المعاني واثراء النص الشعري ومنحه الفاعليّة التي تزيد من حركية القراءة. إن أهمية المفارقة عند بشرى البستاني بوصفها ناقدة إيديولوجية تكمن في فتح أبواب النص على التعدد والجدل وحوارية الدلالات. المفارقة واحدة من أهم الآليات الشعرية تقوم عليه القصيدة وتقنية تجعل المتلقي أن يكون مبدعا للنص الشعري ذلك «لأن المفارقة تملي على المتلقي دوماً

www.SID.ir

Archive of SID

ضرورة الذهاب إلى ما وراءها، لأن ظاهرها ملغومٌ لا يعبر عن المراد مما يستدعي استنهاض الذاكرة بكل مخزوناتها وما تحمل من آفاق التلقي ومن خبرات ومعارف» (البستاني، ٢٠١٥: ١٨٨). وتدفعه الى التأمل والغور في النص الشعري لإضاءة المعاني التي تستمدُّ من الانحراف الذي يطرأ على النص الشعري نتيجة المفارقة. ترى بشرى البستاني «أنَّ الشعر الحقيقي هو الشعر الذي يستمدّ فتنت من غلالات غموضه وتشكيلاته الإبداعيّة التي تتيح لقارئه القدرة على التأمل والتساؤل وإعادة السؤال من خلال حركيّة الفكر التي يضرمها الشعر في مؤوله ويكون مثيراً للحواريّة بين النص والمتلقي ويحرّك الفكرة» (شرتح، ٢٠١٢: ٤٩). وهذه الخصوصيّة للشعر الحقيقي تأتي في جزء كبير منها بتوظيف المفارقة في النص الشعري فالمفارقة نوع من الانحراف والعدول ووسيلة الشاعر لمنح النص الشعري غلالات الغموض كما في المفارقة اللفظيّة ووسيلتها الابداعيّة في البيئات الشعريّة التشكيليّة كما تتحقق في مفارقة السلوك والتصويريّة وهي تعمل على اثارة المشاعر والاحاسيس عند المتلقي وتزيد من حركيّة القراءة من خلال حركيّة الفكر التي تخلقها عند المتلقي.

تأخذ هذه الدراسة على عاتقها أن تقوم بمقاربة تقنية المفارقة في خطاب بشرى البستاني التي اشتهرت في أوساط الأدب باتجاهها الإيديولوجي وبما أن المفارقة لم تدرس في خطاب بشرى البستاني الدراسة البنائية الكافية التي تكشف عن دورها المهم في الخطاب وفي التشكيل الصوري فإن المفارقة المركزة في خطاب بشرى تدعونا بإلحاح إلى تأشير هذه الظاهرة ودراستها. فقد أولت بشرى البستاني اهتماما كثيراً بالمفارقة في خطابها وفي تطبيقاتها النقدية. «واتخذت هذه التقنية أسلوبا فنياً للإيحاء بأبعاد تجربته الشعرية المعاصرة لما تتكتم به هذه الظاهرة اللغوية من كثافة شعورية عالية قادرة على استغوار أدق مطاوي الشعور والخبايا النفسية» (عثمان عباس، ٢٠٠٩: ١٣١). ولدوره البارز في خلق أرضية خصبة للنص الشعري يستطيع المتلقي أن يظفر بها على الدلالات النصية؛ إذن المفارقة وسيلة تعبيرية تعتمد عليها بشرى حمدي البستاني لخلق الوعي بالواقع العراقي الذي احتدم فيه الاضطرابات والتناقضات في جميع المجالات ولخلق نموذجا فنياً يجعل المتلقي في دائرة السياق المحيطي للنص الشعري ولخلق المعادل الموضوعي للواقع العراقي وللتعبير عن المعاني في صورة موحيّة تعمل على اثارة المشاعر والأحاسيس عند المتلقي ومن هنا أنَّ المفارقة من المرتكزات الشعريّة الاساسية بالنسبة للشاعرة بشرى البستاني التي ترى الشعريّة الحقيقيّة في انتهاك المألوف بغية التوسل الى قدراً كبيراً من التأثير في نفسيّة المتلقي.

www.SID.ir

Archive of SID

خلفية البحث

تناولت دراسات عديدة موضوع المفارقة في الشعر العربي المعاصر، من ذلك مقالة شعرية المفارقة ودرامية النص الشعري: قراءة في قصيدة "أبو تمام وعروبة اليوم" للدكتور عبدالقادر طالب (٢٠١٦م) والكاتب في هذه المقالة قام بالمقاربة لقصيدة عبدالله البردوني الشاعر اليمني المعاصر والكاتب سلّط الضوء على دراسة المفارقة التصويرية في هذا الخطاب وأهمل غيرها وما درسه من قصائد البردوني يندرج ضمن عمود الشعر والمفارقة في الشعر الحر أكثر خطورة وبلورة والدراسة الثانية التي تناولت موضوع المفارقة هي مقالة الدكتورة نعيمة سعدية باسم شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي (٢٠٠٧م) والدراسة هذه ليست تطبيقية بل جاءت الكاتبة ببعض التنظيرات حول المفارقة في الأدب وها هي الحال بشأن مقالة نبيلة ابراهيم باسم فن المفارقة والتي نشرت عام (١٩٨٧م) والباحثة درست موضوع المفارقة من خلال بعض النماذج من التراث العربي القديم وكتبت في إيران رقية رستم بور ملكي وإنسية خزعلي ومريم غلامي مقالة مظاهر المفارقة في قصيدة لمن نغنّي لأحمد عبدالمعطي الحجازي والتي نشرت عام (٢٠١٦) في فصلية إضاءات نقدية والكاتبات درسن موضوع المفارقة في خطاب الحجازي بأنواعه الثلاثة؛ الدرامية واللفظية والسلوكية ورغم كل هذه الدراسات لم تكتب دراسة مخصصة لموضوع المفارقة في خطاب بشرى البستاني الا ما كتبه فؤاد الرديني باسم المفارقة في شعر الجنوسة قصيدة أنا والاسوار لبشرى البستاني نموذجا (٢٠١٦م) في مجلة كلية الآداب بجامعة الموصل والقصيدة هذا من القصائد التي تواجه بها الشاعرة الهيمنة الذكورية والكاتب تطرق الى دراسة المفارقة اللفظية في هذه المقالة والفارق بين هذا البحث وبين دراستنا هو أننا في هذه المقالة ندرس الخطاب السياسي لبشرى البستاني بينما اقتصر الرديني دراسته على موضوع الجنوسة من خلال دراسة المفارقة اللفظيّةِ ونحن ندرس بمنهج تحليلي كل أنماط المفارقة دراسة بنائية كاملة تكشف عن الفاعليّةِ التي تتركه المفارقة جماليةً وتعبيريةً في شعر بشرى البستاني.

أسئلة البحث

١. ما هي أهم مظاهر المفارقة في خطاب بشرى البستاني؟

٢. ما هي أهم إيديولوجيات الشاعرة التي تعبر عنها من خلال المفارقة؟

www.SID.ir

Archive of SID

المفارقة

المفارقة لغةً

إنَّ المفارقة من أهم مكونات الصورة الشعريّة في الشعر العربي المعاصر ومن أهم مرتكزات الشاعر لزعزعة المألوف في البنيّة النصيّة وخلق الدهشة عند المتلقي وهي جاءت في اللغة الفارسيّة تحت المسميات الكثيرة منها: باطل نما، خلاف آمد، متناقض، تناقض، ناسازي ويا ناسازواري هنري (صيادي نژاد ومؤذن زاده، ٢٠١٤). المفارقة أخذت من جذرها الثلاثي «فرق» بفتح الراء والقاف ومصدرها فرق بسكون الراء والفراق في اللغة خلاف الجمع فرق يفرُقه فرقا وفرّقَ وقيل: فرَقَ للإصلاح فرقا وفرّقَ للإفساد تفريقا وفارق من المفاعلة الشيء مفارقةً وفراقاً: باينه والاسم الفُرقة وتفارق القومُ فارق بعضهم بعضا وفارقَ فلان امرأتَه مفارقة وفراقا أي باينها (ابن منظور، ١٩٩٧: ٢٩٩-٣٠٠) وجاء في أساس البلاغة للزمخشري في مادة فرَقَ: بدأ المشيب في مفرَقه ومفرِقه وفرقه وفرق لي الطريقَ فروقاً وانفرق انفراقاً؛ إذا اتجه لك الطريقان فاستبان ما يجب سلوكه منها (الزمخشري، ١٩٨٨: ٢٠).

جذور المفارقة

أما المفارقة في جذورها فتنتمي الى الفلسفة اليونانيّة وانبثقت كمفهوم بلاغي عن هذه الفلسفة وخاصة الفلسفة الأفلاطونيّة. يذكر ميويك أن المفارقة ظهر لأول مرة في جمهوريّة أفلاطون (ميويك، ١٩٩٣: ٢٣) وترى نبيلة ابراهيم أن المفارقة مصطلح قديم جداً ورد منذ افلاطون في جمهوريته على لسان أحد الأشخاص أحد الأشخاص الذين وقعوا فريسة محاورات سقراط، وهي طريقة معينة في المحاورات لاستدراج شخص ما حتى يصل إلى الاعتراف بجهله، فكانت الكلمة نفسها تعني عند أرسطو الاستخدام المراوغ للغة (إبراهيم، ١٩٨٧) والفارق بين ميويك وبين نبيلة ابراهيم هو أنَّه أي ميويك يرى أنَّ المفارقة ترجمة للكلمة الاغريقيّة وهي eironeia وترى نبيلة ابراهيم أنَّ المفارقة ترجمة لكلمة paradoxa التي تعني الرأي المخالف أو الضد.

المفارقة في النقد العربي والغربي

تعد المفارقة عنصراً بنائيا جمالياً طالت بسماتها الفنون وكذا فنون الأدب والشعر منها بخاصة وهي المحرق الشعري الأساس في تشكيلية النص إذ من دونها يفقد النص كامل شعريته (عبيد، ٢٠١٠: ١٩١) لم يخلُ الشعر العربي سواء في قديمه وحديثه من بناءات المفارقة

www.SID.ir

Archive of SID

بيد أن وجه الفارق بين الشعر القديم والجديد يكمن في أن أولهما لم يكن هم الشعراء فيه قائما على المفارقة وإنما كانت تتخلل قصائدهم بين الحين والآخر غير الهادفة وعلى أساس الصدفة والاعتباطيّة، بينما عند ثانيهما فقد أضحت من ضرورات البناء الشعري ومن أهم مرتكزات الشعريّة في مستوى الجمالي والتعبيري. أما في الموروث العربي القديم فأوّل من صنع المفارقة هو الجاحظ الذي كان لكلامه متناقضاً، وفي الوقت نفسه تمسّه السخرية (رستم بور والآخرون، ٢٠١٦م) وحضر عند النقاد ما يقترب من التعبير عنه كالتغريض وتجاهل العارف وتأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس والمتشابهات والتشكك وقد وردت هذه المصطلحات في المثل السائر والعمدة وأما عبد القاهر الجرجاني فقد أعطى أهمية كبيرة لفكرة الجدل والمغايرة في المعنى وضرورة توليد المعاني الجديدة في حديثه عن التجنيس والاستعارة والكناية مؤكداً أهمية المغايرة والمخالفة في توليد المعاني وكسر أفق التوقع لدى القارئ على حد تعبير نظريات القراءة (ناصف، ٢٠٠٠: ١٢٠) وما يؤكد عليه الجرجاني في كتاباته هو ما يعرف في النقد الحديث بـ paradox وهو نوع من المفارقة اللفظية واللافت ان كثيراً يشتبك عليهم الأمر في التميز بين paradox والمفارقة irony والفرق بينهما واضح كل الوضوح؛ إذ إن الأول يندرج ضمن ما يسمى المفارقة اللفظية وهو نوع من المفارقة مصطلحياً والمفارقة أي أن المفارقة أعم منه وهو ليس إلا نوع من المفارقة وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول إن كمال أبو ديب تجاوز الصواب في اختيار paradox ترجمة للمفارقة (أبو ديب، ١٩٨٧: ١٠٢). والمفارقة اصطلاحياً ظهر لأول مرة نهاية القرن الثامن عشر كما يذكر ميويك.

تبوأت المفارقة منزلة مهمة في الدراسات النقدية الحديثة وذلك تبعا لتنامي دورها في ابراز الوجه الجمالي والدلالي للنصوص الأدبية ولا سيما الشعر. يعالج ماريك فينلي marike finly المفارقة من منظور اسلوبي بلاغي، فيأخذ برأي البلاغيين الجدد المعروفين بجماعة مو Groupemu الذين يركزون في تعريف المفارقة على التعامل المتمثل في بنائها فالمرسل يقول شيئا وهو يعني شيئا آخر أو يقول شيئا وشيء آخر يفهمه المتلقي (قطوس، ٢٠٠٠: ٢٠٠) وقال نورثروب فراي «بأنها نظام من الكلمات يتجنّب القول الصريح وينكر المعنى الواضع لما يقول وأما بارت فيرى أنها شكوك تتحول إلى نوع من القلق وهو مطلوب في الكتابة ومن شأن هذا القلق إبقاء تلاعب الرموز ولعل أقرب التعريفات للمفارقة الأدبية تعريف آلان رودي بتأكيده على أنها ليست رؤية معنى حقيقي تحت آخر زائف بل مسألة رؤية صورة مزدوجة على صفحة واحدة» (طالب، ٢٠١٦: ١٩٣). أما شليجل فيذكر سبب التشكيل المفارقي

www.SID.ir

Archive of SID

في النص ومرده عنده هو وجود التناقض في الواقع، «نحن لن نصل للمفارقة إلا بعد أن تكون الأحداث والحياة بأسرها مدركة وقابلة للتمثل بوصفها لعبة وحشدا من التناقضات، إذ ليست المفارقة إلا الوعي الشديد بالتناقض القائم بين داخل الذات وخارجها» (ناصف، ٢٠٠٠: ١٢٠). مما يؤدي إلى الوعي الممكن عند المتلقي حيث يستفزه ليكون اكثر وعياً لما تقوله المفارقة ولتكون المفارقة ذات التأثير في نفسية المتلقي تحتاج إلى مهارة لغوية من قبل المتلقي كما تحتاج إلى احكام بالغ الدقة للعلاقة بين الشكل والوظيفة أو بين المقام والمقال (العبد، ١٩٩٤: ١٨) إذن المفارقة تعمل على إبراز التناقضات المختلفة التي تتكتم في طوايا الذات أو تتراءى في الواقع المعيش وما يزيد المفارقة عمقا وثراء هو وعي المبدع بكثافة الحياة وتعقيداتها وكارثية وقائعها إذ كلما كان المبدع واعيا بكثافة الحياة وتعقيداتها وبالفلسفات المغذية لتلك الوقائع كانت مفارقاته متشظية الدلالات، عميقة البعد وبعيد المرمى (إبراهيم، ١٩٨٧م) وكذلك له دور بارز في التطور الدلالي للنص وتخصيب منطقة التلقي ويجعل دور المتلقي مركزيا في منطقة التلقي، ذلك لأن لغة المفارقة تتعمد عدم الإفهام على نحو مباشر، باعتبارها لغة تجعل الأشياء تهرب بمجرد نقترب منها وهذا ما يفتح المجال للقارئ ويضعه أمام القراءات وتأويلات متعددة، الأمر الذي يمنحه متعة القراءة ولذة اكتشاف خفايا الأفكار الجديدة التي تخبئها هذه المفارقات، ليكون المبدع الثاني لهذه الظاهرة الأسلوبية الأثيرة (شبانة، ٢٠٠١: ٤٩) ما يوجه إلى سلطة القارئ في الدرس النقدي الجديد التي تؤكد عليه بعض الاتجاهات النقدية الجديدة كالتفكيكية الدريدية وللمفارقة الى جانب دورها الوظيفي في النص الشعريِّ من الناحيّة التعبيريّة اسهامها الكبير في شعرنة التشكيل الشعري من خلال اثارة الدهشة لدى المتلقي. يرى محمد صابر عبيد «أنَّ شعريّة المفارقة تتشكل من خلال تكشّف قدرة الشاعر عن طاقة تعبيريّة شعريّة تكتنز بروح خصبة وثريّة قائمة على التركيز والدقة والمفاجأة في آن» (صابر عبيد، ٢٠١٠: ١٧٩).

وظائف المفارقة

لعل أهمية المفارقة في الأدب والشعر مسألة لا تحتمل الجدل، فالأدب جميعا تتصف بالمفارقة من حيث الجوهر، والمفارقة م أهم استراتيجيات الخطاب الشعري المعاصر تعتمد عليه النص لتوليد الدلالات النصية ولتقوية المغزى النصي وللمفارقة حضور واسع فضفاض في الخطاب الشعري العربي المعاصر خاصة في العصر الراهن حيث العالم العربي تعج بالتناقضات ولا

www.SID.ir

Archive of SID

نكاد نقف عند خطاب شعري معاصر يخلو من المفارقة وكيف يستطيع الشاعر الحداثي أن تغفل تقنية المفارقة في خطابها بينما تناقضات الواقع المعيش تلهمه الشعرية وعاشر المجتمع المفعم بالمتناقضات واكتوى بناره. من أهم الأهداف المؤملة من توظيف المفارقة هو أنها وسيلة مباغتة القارئ لأثارة انتباهه وتحفيزه على التأمل وتنشيط فكره في موضوع المفارقة ومنح القارئ حسا اكتشافياً ومن ثم منعه الانفعال المباشر السريع (شبانة، ٢٠٠٢: ١٧). أي أن المفارقة تجعل دور المتلقي مركزياً في عملية التلقي وتجعله تسهم في توليد الدلالات النصية. وتسهم في عملية الاتصال، إذ إن الطاقة التعبيرية التي نشعر بها مع المفارقة تنطلق من جعل المفارقة أعظم إسهاما في عملية الاتصال من مجرد الفهم السلبي. والمستمع في البناء المفارقي مطالب بأن يفهم السياق، ويقف على الدور الذي يلعب في المنظومات المفارقية وفهمها و«إنه مطالب بأن يتوصل إلى المعنى المنطوق، بالمرور من خلال معنى الجملة، ثم إنه يعود عودة مزدوجة إلى نقيض الجملة، لكي يعيد إلى المنطوق الحرفي ملاءمته للموقف» (العبد، ١٩٩٤: ٣٦). وللمفارقة الوظيفة الإصلاحية أيضا، ذلك لأن المفارقة تشبه أداة التوازن التي تبقى الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم، تعيد إلى الحياة توازنها عندما تحمل على محمل الجد المفرط « ووسيلة الفنان لتحقيق التوازن هي فهم التناقضات التي يقوم عليها العالم وهو ما يؤدي إلى الحفاظ على نوع من التوازن في عمله الفني بين اليقين العاطفي والتحفظ المشوب بالشك وقد تكون المفارقة سلاحا للهجوم الساخر» (الحويطات، ٢٠١٤م). والمفارقة بهذه الدلالة أكثر حضورا في خطاب بشرى البستاني بعد المفارقة اللفظيّة خاصة في قصيدتها أندلسيات لجروح العراق حيث توظّف المفارقة لتسخر بها السلطة الأمريكية.

أنماط المفارقة

للمفارقة أنواع مختلفة وتعددت آراء النقاد والدارسين حول أنواع المفارقة، قسمت بشرى البستاني المفارقة إلى أربعة أنواع: المفارقة اللفظية أي المفارقة بين اللفظين في الدلالة أو مفارقة التضاد وهو ما تسمّى paradox ومفارقة السخرية ومفارقة التحول والمفارقة التصويرية والدرامية (البستاني، ٢٠١٥: ١٨٩). ومفارقة السلوك. المفارقة اللفظية أكثر اشكال المفارقة تعريفاً حيث أجمع على تعريفها وتوضيحها كل من كتبوا عن المفارقة وقال شبانة« المفارقة اللفظية لا تخرج عن كونها دالاً، يؤدي مدلولين نقيضين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفياً والآخر السياقي الخفي يبحث القارئ في البحث والكشف عنه» (شبانة،

www.SID.ir

Archive of SID

٢٠٠٢: ٦٨). وهي أكثر حضوراً في النص الشعري الحداثي وهي على حد قول ميويك انقلاب في الدلالات والشاعر بمزجه بين المختلفين دلالياً يعمق المعنى ويزيد النص إيحاءً. نوع آخر من انواع المفارقة مفارقة السخرية عند بشرى البستاني وهي ما تسمى عند العبد مفارقة النغمة وهي تعني أداة المنطوق ـ على الكلية ـ بنغمة تهكمية «يعول عليها في إظهار التعارض أو التضاد بين ظاهر المنطوق وباطنه وبين سطحه وعمقه بحيث تقتلع هذه النغمة التهكمية محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن المضاد» (العبد، ١٩٩٤: ٧١). وهو ما تسمى مفارقة البناء عند البعض ومفارقة التصويرية لها انواع مختلفة وتعني بشرى البستاني بمارقة التحول هي تخلي العنصر المعروف بإيجابيته عن صفاته المعروفة كما حدث في قصيدة مكابدات ليلى في العراق من ديوان البحر يصطاد الضفاف لبشرى البستاني. والمفارقة الدرامية Dramatic irony ارتبط بالأساس بالمسرح، فهي متضمنة بالضرورة في أي عمل مسرحي، لكن هذا لا يعني عدم وجودها خارج المسرح وهي تكون أبلغ أثراً عندما يعرف المراقب ما لا يعرفه الضحية ويضرب ميويك مثالا على ذلك من قصة يوسف وإخوته بيوسف الذي يستضيف إخوته في مصر وهم لا يعرفونه وربما أصبحت المفارقة فيها أقل أثرا لو لم يكن يوسف يعرف إخوته بينما القارئ يعرف (ميويك، ١٩٩٣: ٣٨).

المفارقة في بشرى البستاني الشعري

المفارقة اللفظية

تعتبر المفارقة اللفظية أكثر أشكال المفارقة تعريفاً، حيث أجمع على تعريفها وتوضيحها كلّ من كتبوا عن المفارقة وأنماطها، قال شبانة:« المفارقة اللفظية لا تخرج عن كونها دالاً يؤدّي مدلولين نقيضين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفياً، والآخر سياقي خفي يجمد القارئ في البحث عنه واكتشافه» (شبانه، ٢٠٠٢: ٦٤) أو تضاد الدلالة. ترى بشرى البستاني أنَّ المفارقة اللفظيّة تأتي بالاندماج بين اللفظين تجمعها الغربة الدلاليّة أو بين الفاعل والمفعول في الصورة الشعريّة ينتزع كل منهما عن دلالته الاصليّة ويعمل خلاف ما اتسم به من الدلالة وتضاد الدلالة أكثر حضوراً عند بشرى البستاني كما نلاحظ في قصيدة "أندلسيات لجروح العراق":

يشتعلُ البحرُ على خصر الصحراءِ/ النخلُ على صدرِ البدويةِ/ ترخي في الفجر
ضفائرها/ تفتحُ ساعدها للنجمِ الكذَّابِ/ فيخجلُ ورد الليلِ (البستاني، ٢٠١٢: ١٠٩)

www.SID.ir

Archive of SID

البحر في هذه اللوحة يرمز به الى الانفتاح والحركة والفاعلية وهو هنا معادل للعراق وماضيه المتسم بالحركة والفاعليّة واشتعال هذا البحر على خصر الصحراء هنا تشكيل مفارقي وظّفته الشاعرة لتعميق الواقع المأساوي للعراق نتيجة ممارسات السلطة الأمريكيّة الاستلابيّة فاشتعال البحر تشكيل فني نابع من موقف الشاعرة النفسي تجاه الواقع المعيش حيث اشتدت الظلمة والحيرة والقلق واستلاب الخيرات والتحجر تحت اشتداد البطش السلطوي وورد الليل هنا أيضاً تشكيل فني مفارقي قائم على الضديّة الدلاليّة يزيد الى جانب مفارقة اشتعال البحر النص عمقا وثراءً كما يعمل هنا لإثراء المشهد الدلالي للنص الشعري وفتح النوافذ الدلالية في مخيلة المتلقي ويزيد من جماليّة النص الشعري.

الشاعرة عبر نص جمالي متفرد وهو ورد الليل الذي يعدّ استعارة تنافرية oxymorn، في اطار المفارقة تجسِّد ضياع العراق وانتقاله من الزهو والتفتح الى الجمود والسكونيّة المتمثلة في الليل. إضافة الليل وهو يحمل الدلالة السلبيّة إلى الورد وهو يرتبط بالتفتح والانبهار يوجه شطر ذاكرتنا إلى موت المجد العربي والحضارة العربية وانطفاء فاعليّة العراق نتيجة ممارسات السلطة فالورد هنا لا يمثل إشارة تشي بالأمل والتفاؤل وإنما اكتسب دلالته من البعد اللوني الجديد الذي امتلكه «وهو لون يمثل حالة التشاؤم فوصف الورد بالسواد يدل على شارات الحزن» (ربابعة، ٢٠١١: ١٠٤). وخرق اللغة في هذا التشكيل الفني ورد الليل يجرد الورد من رومانسيته ويجعلها علامة سيميائية تؤشر إلى البعد الإحباطي للواقع العراقي المعيش ويحيل الى سقوط عراقة الحضارات وأصالتها في الظلام المتمثل في الليل الذي أخذته بشرى البستاني رمزاً للسكونية والضياع بفعل السلطة الأمريكية التي عمدت إلى إشلال إدامة المشروع الإنساني النبيل وأجهضت الحلم الإنساني الكبير بفعل التدمير والفناء وتحطِّم فاعليات المكان وثمة مفارقة في هذه اللوحة الشعريّة وهي وجود البحر على خصر الصحراء والصحراء رمز أمجاد العرب ومصدر خيراته الدافقة وسرُّ تسويغ الاجتماع بين البحر وبين الصحراء وبينهما التشاكل الدلالي هو كسر افق التوقع لدى المتلقي وتحقق شعريّة النص ويمكن أن يكون سرّ تسويغ التمازج بين اللفظتين بينهما علاقة الضديّة الدلاليّة هو تجسيد المارقة بين اضر العراق وماضيه والعراق كان في الماضي متسماً بالزهو والتفتح وهو الآن آل إلى الجمود والسكونية تحت البطش السلطوي ومن صور المفارقة اللفظية في قصيدة "أندلسيات لجروح العراق" قولها:

الطُحلُبُ كدَّر صفو الماءْ../ تبكي دجلةُ في قلبِ الليلِ/ زفيرُ الثُعبانِ يريق
النارَ/ على أعمدة الكونِ/ سريرُ العنقاءْ/ محمولُ بيدِ الزوبعةِ الصفراءِ/ وقلبُ

www.SID.ir

Archive of SID

الليلُ/ ينزفُ أندلساً أخرى/ وفلسطينُ/ تطلُعُ من/ عينِ غزالٍ/ زنبقةً تُطفئها الشمسُ/ غبارُ الطلقات الخُلَّبُ يوجعُ قلب الأرضُ (البستاني، ٢٠١٢: ١١٠)

وتحققت المفارقة اللفظيّة بانتزاع اللفظة عن دلالته الاصليّة في اطفاء الزنبقة بالشمس والزنبقة هي رمز الحياة والشمس وهي واهبة الحياة رمز السلطة الأمريكيِة وتجسِّد الشاعرة ـ عبر هذا التشكيل الشعري المفارقي ـ المفارقةَ بين ما نادت به السلطة الأمريكيّة أبان غزوها للعراق من أنّها جاءت الى العراق لبناء الديمقراطيّة وبين ما تصدر عنه من التشريد والقتل والاقتلاع والشمس في صورته الظاهراتيّة تومئ الى ما نادت به السلطة الامريكيّة واطفائها للزنبقة تكشف عن الحقيقة الأمريكيّة ومن صور المفارقة اللفظية قولها:

هل قلت: الموت/علم السيمياءُ... خجِلٌ من ضوضاء الموتى... (البستاني، ٢٠١٢: ١١٤)

وتواصل المفارقة هنا فعلها بإضافة الضوضاء إلى الموتى وضحية المفارقة الموتى هم حكام العرب الذين نسوا أمس الحضارة والهداية والشهادة وبذل المهج رخيصة فداء للوطن واستسلموا لقتل النماء والتفتح والاندفاع في الإنسان وقال بشرى البستاني «إن التعبير عن الأحياء بالموتى يوجز كل الانتقادات التي يمكن أن توجه لشعب يسرق ويقتل أبرياءه وتنتهك حرماته وتشوه معالم حضارته ثم لا يثور عن بكرة أبيه» (شرتح، ٢٠١٢: ١٩٠). فإضافة الضوضاء إلى الموتى تعبير مفارقي جاء لتعرية سياسات حكام العرب ورفضا لصمتهم المقيت أمام عوامل السلب والانفصال ومثل هذا النمط من المفارقة نلاحظها في قصيدة "ورقات مصغرة في الحب":

وأنتمو... رجال الحيّ يا نيام.../ مرَّ بكم موزع البريد قبل عام.../ وقال ما قال عن الزهور في مفازة الألم/ وعن غصونها الرفيفة الظلال/ يدوسها الطغاة (البستاني، ٢٠١٢: ٦٣٨)

ورجال الحي هو الزعماء العرب في يونيو ١٩٦٧م الذين خاضوا الحرب ضد الكيان الصهيوني لكنهّم هزموا أمام إسرائيل وما جرّهم إلى الهزيمة أمام الكيان الصهيوني هو التخلف الذي كان العرب يعيش فيه آنذاك وها هو الذي يحمل مسؤوليّة هزيمة العرب والشاهد المفارقي في هذه اللوحة هو لفظة النيام واستعارتها الشاعرة للتعبير عن هذا التخلف الذي جرّ العرب إلى الهزيمة والصغار وما يحقق المفارقة هنا هو مخاطبة رجال الحي ومخاطبة النيام واللوحة هذه تتضمن إلى جانب هذا النمط من المفارقة نوعاً آخر من المفارقة ألا وهو المفارقة الدراميّة التي تحققت بالتناقض بين ما كان موزع البريد يأمل به

www.SID.ir

Archive of SID

وكان ينتظره وبين ما يفعله رجال الحي وهم زعماء العرب. موزع البريد فعل في قومه ما فعلته زرقاء اليمامة وحذّر قومه وطلب منهم الاستعادة لمواجهة العدوان الخارجي لكنهم لم يهتموا بما قال وحصل لقومه ما حصل لقوم زرقاء من الويل والخراب.

ومن صور المفارقة اللفظية قولها في قصيدة "مكابدات ليلى في العراق":

السماءُ دُخانٌ/ والسماءُ غرابٌ جناحاهُ لا يطرفانِ/ والسماءُ طوت أُفقها/
فضَّت السامرينَ/ البردُ يجتاحُ الشجرَ/ لؤلؤةً/ خرساءَ/ تطفو على بحيرةِ
المساءِ/ وترسمُ القدسَ على نافورةٍ صمّاءَ (البستاني، ٢٠١٢: ٤١٩)

استندت بشرى البستاني في قصيدة مكابدات ليلى الى المفارقة بأنماطه المختلفة في أوسع مآلاتها الدلالية للتعبير عن مأساة العراق من خلال مزج المتناقضات كما يبدو في المقطع الأول من القصيدة حيث لجأت الى توظيف مجموعة من المتناقضات اللفظيّة للتعبير عن فداحة أوضاع العراق المعاصر في ظل دكتاتوريّةِ صدام حسين ومن ثم الدعوة إلى التمرد والرفض إذ إن المفارقة في خطاب بشرى البستاني الشعري تؤدي وظيفة التوصيلية والجمالية من خلال تأثيرها على المتلقي، وجعله أكثر حساسية ووعياً بواقعه المعيش الذي يتحرك في أجواء من السكونية بسبب سيطرة عوامل السلب التي رمّزت عنها بشرى البستاني بالبرد الذي يجتاح الشجر الذي يرمز به الفاعلية التي عمدت عوامل السلب على تهميشها وتحطيمها.

إن تشبيه السماء بالدخان في المقطع الاول الذي يتألف لونه من امتزاج اللون الابيض مع اللون الأسود أي مزج النور مع الظلام والخير مع الشر، لينجم اللون الرصاصي المعتكر الذي تصعب معه الرؤية أي التميز ما بين الخير والشر وكذلك تشبيه الماء بالغراب الذي يطير دون أن تطرق جناحاه عبر تشكيل سريالي للدلالة على سكونية المشهد أو الحالة بما تحمله من قتامة دلَّ عليها لون الغراب المتمثل بالأسود القاتم فضلاً عما يحمله الغراب من الدلالات الموحية بالشر والشؤم (غانم، ٢٠١٤: ١٧٣). والمفارقة واضحة في وصف اللؤلؤة بالخرساء والنافورة بالصماء والمفارقة عبرت عن حالة السلب المحيطة بالعراق وصورت خمول الفاعلية وانعدام الحياة وضياع القيم المتمثلة في القدس رمزاً للأشياء السامية ومن صور المفارقة اللفظيّة نجدها في قصيدة لحظات ما قبل الانفجار:

أواهُ يا رفاقُ/يا حفاةُ/ من يحمل الصحراءَ للفراتِ/من يمنح الضوءَ لنجم ليلها
الذبلان/ للحفر المرمدة العيونِ/جفت على الشواطئ المتربة (البستاني، ٢٠١٢: ٦٣٥)

www.SID.ir

Archive of SID

ووجه المفارقة يكمن في حضور نجمٍ في سماء العراق وليله ذبلانٌ والتواشج بين النجم وبين الليل في هذا التشكيل الشعري يشكل مفارقة لفظيّة تعمِّق بها الشاعرة الحالة المأساويّة المترديّة للأرض العربيّة نتيجة التخلف الذي تعيش فيه الأمة العربيّة والذي تعبّير عنه لفظة الحفاة وهذا التخلف كما تكرِّسه الشاعرة هو الذي جرَّ العرب إلى الضعف والهزيمة في نكسة ١٩٦٧ م ومن المفارقة اللفظيّة في هذه اللوحة الشعريّة نجدها في لفظة الصحراء وعلاقتها بالفرات والصحراءُ في صورتها الظاهراتيّة اللكسيميّة في مفارقة مع الفرات المتّسمة بالحركة والفاعليّة وما يخرج الصحراء عن مفارقتها مع الفرات هو التشاكل الدلالي بينها وبين الفرات؛ فالصحراء في هذا التشكيل الشعري كما ينبثق من الاستفهام الالتماسي هو رمز الأصالة العربيّة والعراقة وهذه الأصالة متُّسمة بالفاعليّة والحركة والاستفهام الالتماسي في حمل الصحراء إلى الفرات ارتياد من الشاعرة للعودة الفرات رمزاً للمكان إلى أصالته وعراقته وما يمنح الفاعليّة والحضور للأرض أي يعيد إليها الحياة والحركة عند الشاعرة هو القضاء على التخلف الذي تعيش فيه الأمة العربيّة ومن المفارقة اللفظيّة نلاحظها في قصيدة "طيور لشجر الميس":

البحر وحيدٌ في الليلِ/ ومنكفئ بين الخلجان/ ساكنة بين الوصل والهجر/
تعبث في حبات الرمل (البستاني، ٢٠١٢: ٢٩١-٢٩٢)

البحر رمز للعراق وهو يحمل دلالات الاستمرارية والحركة وفي توظيفها اشارة الى فاعليّة العراق الحضاريّة والليل تعبير عن السكونيّة التي آل إليه العراق في ظلِّ الاحتلال والعلاقة القائمة على اللاانسجام واللااندغام بين المبتدأ والخبر وهو البحر والليل تجلبنا نحو مفارقة بين حاضر المكان وماضيه فالعراق الذي رمّزت عنها الشاعرة بالبحر كان في الماضي متمتعاً بالفاعليةِ والحركة وهي الأن يتخبَّط في السكونيّة والانطفاء.

المفارقة التصويرية

المفارقة التصويرية تكنيك فني يستخدمها الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين الطرفين المتناقضين أو الزمانين المتناقضين والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صوره فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض والتي تقوم المفارقة

www.SID.ir

Archive of SID

التصويرية بدور فعال في إبراز أبعاده (عشري زايد، ٢٠٠٢: ١٠٣). والمفارقة التصويرية في خطاب بشرى البستاني تحدث بإسقاط ملامح الواقع المعيش على الطرف التراثي ما فعلته بشرى البستانِ في قصيدة أندلسيات لجروح العراق أو تحدث من خلال تخلي الشخصيات التراثية عن مسؤولياتهم أو عن ملامحهم الحقيقية كما نلاحظ في قصيدة "مكابدات ليلى في العراق" ومن صور المفارقة التصويرية قولها في قصيدة مكابدات ليلى في العراق:

قيسٌ يطاردُ غزلانَ نجدٍ/ وقلبي يطارده في الزحام. وعاذلةٌ في اليمامةِ تسأل/ عمَّن سيخسرُ فيَّ الرهان/ ليس غريباً أنك كنتَ/ الكاذبَ في الحبِّ/ ليس غريباً/ أن طاردتَ غزالاتِ البيدِ جميعا/ ليسَ غريباً أن اللوعةَ كانت في غيري/ أو في حبِّك ذاتك/ أو ذات الحبِّ/ ليس غريباً أن تروى الصحراء دماً (البستاني، ٢٠١٢: ٤٢٠)

وتحققت هنا المفارقة التصويرية بتحول الحب بين الشخصيتين التراثيين وهما قيس وليلى وقيس هنا رمز للسلطة الدكتاتورية وليلى رمز العراق وتوظيف القناع هنا يمثّل هنا نوعاً من أنواع المحاربة والمواربة إذ يساعد المزج بين الواقعي والموضوعي إلى التملص والتخلص من سلطة الرقيب (مرشد محمود، ٢٠١٧: ١٠٥) . وفضاء السلطة الضاغطة في زمن الدكتاتورية. ومن هنا ترى سيزا قاسم أن المفارقة شكل او طريقة لخداع الرقابة (قاسم، ١٩٩٣). أرادت بشرى البستاني بتصوير ضياع الحب بين قيس وليلى أن تعبر عن الخيانة التي تمارسها السلطة الدكتاتوريّة في زمن صدام حسين بحقّ الشعب العراقي المضطهد. وقد ارتبطت شخصية ليلى وقيس في ضمير الوعي الجمعي بالعذرية في الحب وتحول الحب بين الشخصيتين هنا تشكيل مفارقي اعتمدت عليه الشاعرة لتعرية السلطة الدكتاتورية وتجسيد الخيانة التي تمارسها بحق الشعب وفاعليّةِ المفارقة مع تقنية القناع تكمن في التملص من رقابة السلطة الدكتاتوريّة وهذا هو ما دفع الشاعرة الى توظيف القناع واسقاط المفارقة التصويريّة أو الأدوار عليها. كما إن المفارقة التصويرية هنا يمكن أن يكون معادلاً موضوعيا objective correlative لتحطّم وانهيار القيم وزيف واقع العراق المعاصر في زمن الدكتاتورية ففي زمن صدام حسين الحوادث التي طرأت على المشهد العراقي في زمن صدام حسين أدت إلى إرباكاً في التراتبات وأشكال البنى الاجتماعية كما أدت إلى الانهدار في الأخلاقيات واحتدام الاستلابات الإنسانية في البنية الاجتماعية للعراق وتحول كل القيم والمعايير الانسانية إلى عبث محض وإذلال مقيت وتشظي الهويات الإنسانية ما تجسّده الشاعرة بصورة تحول الحب بين قيس وليلى في قصيدة مكابدات ليلى في العراق ومن المفارقة التصويريّةِ بين الطرفين التراثيين ومن المفارقة التصويريّةِ نجدها في قصيدة "طيور لشجر الميس":

www.SID.ir

Archive of SID

يفتّش عن غزلانٍ قُتلَت/ في حضرة كل نواطير الصحراء/ ناقتهم شربت كلَّ الأنهار/ ابتلعت كل سيوف الفتنة/ والتهمت كل النيران/ وانكفأت حيرى (البستاني، ٢٠١٢: ٢٩١)

ومن أنماط المفارقة التصويريّة هو استحضار الطرف التراثي في النص الشعري وانتزاع الملامح الخاصة المتّسمة بها في المرجعيّة التراثيّة كما نلاحظ في هذه المقطوعة من شعر بشرى البستاني. ووجه المفارقة التصويريّة يكمن في توظيف الناقة وهي تعيدنا إلى ما حلَّ بقوم ثمود نتيجة تمرُّدهم على إرادة الله فالناقة كانت لهم وسيلة فتنتهم واغوائهم في الخطيئة فعقروا الناقة فحل عليهم عذاب ربهم بعد أن نزّل الله تعالى عليهم أنّ الناقة لا تضرّهم شيئاً فهي لها شربها كما خص بها الله تعالى وللقوم شربهم فأخذت بشرى البستاني الناقة رمزاً للسلطة الأمريكيّة وفي شربها كلَّ الانهار تعبير عن اشاعة الفتن واثارة الاختلافات بفعل السلطة الأمريكية بين بلدان العالم الاسلامي وفي إضافة الضمير إلى الناقة والضمير يعود إلى نواطير الصحراء وهي رمز الزعماء العرب، إشارة إلى تواطأ الزعماء مع السلطة الأمريكيّة ومن أنماط المفارقة هو حضور المشهدين الشعريين بينهما تناقض ومثل هذا الضرب من المفارقة نجده في قصيدة التسللات:

بهدوءٍ يتسللُ نحوي/ يزرع أسئلةً لا ينتظر الرّد/ يزرعُ شيئاً لا اعرفه/ شيئاً في أفق الروحِ/ غباراً أخضر/ وجعاً أخضر/ أبكي عند الفجر (البستاني، ٢٠١٢: ٤٠٩)

ففي هذا المشهد الشعري تجسِّد الشاعرة عذاباتها وعذابات الروح نتيجة فقدان التواصل بين المرأة وبين الآخر الذكوري والغياب في العلاقات بين الاثنين يجرُّهما إلى العذاب والمعاناة كما أنَّ هذا الغياب يجعل الجانب الروحي للمرأة والرجل في الحضيض وفي المشهد الشعري التالي بعد هذا المشهد الشعري تقول الشاعرة:

بهدوءٍ يتسلَّلُ نحوي/ يعطيني لفاقة تبغٍ/ يشعلني/ أشعلُها/ ويدورُ الكونِ/ فلاحُ المدن العزاء ومساءً ينهضُ عبر الرمل (البستاني، ٢٠١٢: ٤١٠)

وهذا المشهد الشعري في مفارقة مع المشهد السابق الذي كان يجسِّد عذابات الحياة وعذابات الجسد الأنثوي في المجتمعات العربيّة الذكوريّة التي تمنع من التواصل مع الجسد الأنثوي وهذا المشهد الشعري يجسِّد التواصل بين الرجل والمرأة وهذا التواصل يسبب فاعليّة الحياة لكلٍّ من الرّجل والمرأة. إن تبادليّة فعل الإشعال في هذا المشهد الشعري تجسِّد الحياة الطافحة بالنور والتوهج عند التواصل بين الأثنين وتعبِّر الشاعر عبر تجسيد دوران الكون إلى حقيقة تؤمن بها ومفادها هو أن التواصل بين الرجل وبين المرأة هو الذي يزرع الحركيّة

www.SID.ir

Archive of SID

في الحياة وفي الكون معاً والمجتمع يفقد كركيّته عند فقدان التواصل بين الرجل والمرأة ومن المفارقة التصويريّة نجدها في قصيدة فواصل في ظلّ التحرير الأمريكي:

في بغداد وفي غزة/ طفل يحمل قنديلاً/ وأنا واخجلاه/ أحمل ليلاً منذ السنين (البستاني، ٢٠١٢: ٢٣٤)

وضحيّة المفارقة في هذه اللوحة هو من لا يقاوم ولا يواجه عوامل السلب والانفصال ولا يمتلك ارادة التغير. والمفارقة التصويريةِ تحققت بالتضاد بين الموقفين المعاصرين في الموضوع الواحد والتضاد بين مقاومة الطفل في غزة وفي بغداد وبين الركون للضعف واليأس المتمثل في شخصيّة الشاعرة ونرى هنا أيضاً مفارقة في النتيجة فنتيجة المقاومة ومواجهة العدوان هو التوصل إلى الزهو والضياء المتمثل في القنديل ونتيجة الركون للضعف والاستسلام هو قتامة الحياة المتمثلة في الليل:

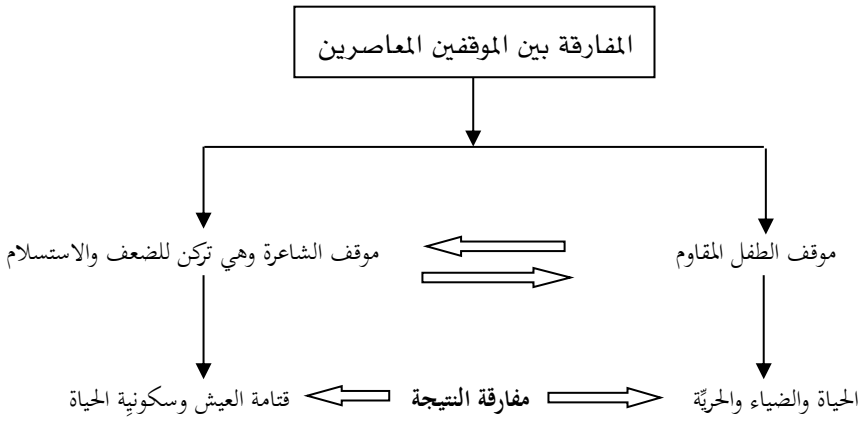

مفارقة السخرية أو النغمة

وتعني أداء المنطوق بنغمة تهكمية، يعول عليها في إظهار التعارض أو التضاد، بين ظاهر المنطوق وباطنه وبين سطحه وعمقه، وهي نوع من التهكمية الذي يبدو ذما في ثوب المدح وفي القرآن الكريم وردت في قوله تعالى: ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ (الدخان/٤٧-٤٩) ومن صور مفارقة النغمة قولها في قصيدة "أندلسيات لجروح العراق":

دباباتُ الغزوِ تدورُ/ يلوثُ ثوبي نفث الدبابات/ تثقب روحي عين الأمريكي الرافل بالزبد

www.SID.ir

Archive of SID

وفي اللغة زبد الماء طفاوته وقذاه والزبد هنا مفارقة ساخرة تحمل هنا المقصدية وهي السخرية من خواء الحضارة الأمريكية مقابل حضارة العراق التي عمرها الألاف سنين والشاعرة وظفت مفردة الزبد من المعجم القرآني (أما الزبد فيذهب جفاء) الآية ١٧ من سورة الرعد وهي في السياق القرآني جاء استعارة عن الباطل مقابل الحق وللإشارة الى زوال الباطل وحضورها في النص الحداثي يشكل مفارقة ساخرة لحضارة أمريكا والمفارقة هنا توحي بانفراج العراق وخروج المحتل منها اذ ان حضارة العراق هي حضارة الفاعلية ولا تستطيع أي قوة خارجية أن تخفّت هذه الحضارة ومن صور مفارقة النغمة قولها:

بحزننا العقيمْ/ بصمتنا العقيمْ/ بيأسنا الذي سدى... سُدى نود لو نثورْ/
نموتُ كل يومْ/ ودونما مشيع نُدفنُ كلَّ يوم وبادعاء الود والسلامْ/ نقذف وجه
البدر بالحجارةْ/ نزحف في المقابرِ/ نعيث بالعظامْ (البستاني، ٢٠١٢: ٦٢١)

والمفارقة تحققت هنا بالتعارض بين الذات الشاعرة وحكام العرب وروح المفارقة النغميّة هنا ظاهرة في خمول حكام العرب وتخلفهم الفكري ووعي الشاعرة بوصفها مثقفة بما يجري في الأرض العربية، فحكام العرب هم المسؤولون عن هزيمة العرب في حزيران ١٩٦٧م وعدم وعي حكام العرب وعدم اهتمامهم بما حل بالمكان العربي من الخزي والعار بسبب سكوتهم أو عنترياتهم الخيالية أو تحجرهم الفكري الذي تجسّده الشاعرة بتصوير الزحف في المقابر وهو تناص دلالي مع ما جاء في سورة التكاثر ووعي الشاعرة بالتخلف الذي ألحق الهزيمة والصغار بالأرض العربية يشكل روح المفارقة الدرامية في النص الشعري أي أن الأنوثة هنا أكثر شعوراً بفداحة الهزيمة التي مُني بها الإنسان العربي المعاصر من حكام العرب الذين يحاولون لتسويغ الهزيمة والانكسار وها هم الذين يتحملون مسؤولية الهزيمة.

مفارقة السلوك أو الحركية

مفارقة السلوك تشيرُ إلى عملية التصور العقلي أو تكوين صورة عقلية واضحة لكل الأشياء ويبني التضادُ في هذا النوع على أساس التعارض بين اللفظ ومسلكه والغاية منها نقد ما يصدر عن الضحية (العبد، ٢٠٠٦: ٦٩) وترسم صورة للسلوك الحركي للذي تقع منه وعليه والمفارقة من هذه النمط هي الأكثر حضوراً في خطاب بشرى البستاني الشعري ومن ذلك قولها في قصيدة الحبِّ:

www.SID.ir

Archive of SID

الملاعبُ مقفرةٌ/ مطرٌ أسود في الدروبِ/ وحدائق أور تبعثرها القدم الهمجيّةِ/
وطائرةٌ في سماء المدينة ترصد خطوي/ وباسم الحياة تحاصر نبضي/ وباسم
الحضارة توثق قيدي/ وباسم الأمان تلاحقني بالرصاص (البستاني، ٢٠١٢: ١٤)

ووجه مفارقة السلوك يكمن في حضور الآخر الأمريكي الذي جاء إلى العراق وهو ينادي ببناء الحريّة والديمقراطيّة في أرض الرافدين وخلاص أهلها من بطش صدام حسين وما تحقق فيها جراء حضوره في أرض العراق هو القتل والموت والتشريد والحريّة المكبّلة وهذا هو الديمقراطيّة الأمريكيّة وكان أهل العراق كأنَّهم لاذوا من الرمضاء بالنار حيث جاء الآخر الأمريكي بذريعة دفاع عن الحريات وخلاص أهل العراق من دكتاتوريّة صدام حسين وكان تغطي بها نواياه الرئيسة وشرّب أهل العراق كأسها العلقم وقتل أهل العراق وشرَّدهم وكبَّل الحريات والتناقض بين ما ادعاه الآخر الأمريكي أبان غزوه للآخر وبين ما صدر عنه وحدث في العراق هو ما يحقق مفارقة السلوك وتجسدها الشاعر برصد الخطو ومحاصرة النبض وملاحقتها بالرصاص باسم الحياة والحضارة والأمان ومن صور هذا الضرب من المفارقة نجدها في قولها:

كافرٌ أنتَ وفي عينيك حلمٌ جاهليٌ/ وأنا أشهدُ في البيتِ صلاتكَ/ راكعا تلثمُ
أذيال الصنمِ/ وأنا أسمعُ أصداء مكاءٍ.. تصديةٌ (البستاني، ٢٠١٢: ٦٠٨)

ووجه مفارقة السلوك يكمن هنا في ما يفعله الشاعر وما يجب أن يكون عليه ويجب أن يفعله فـ«الشاعر جاء هنا كنايةً عن نماذج من المثقفين العرب الذين استكانوا لتبعية السلطة التي تسعى لكبح كل ما من شأنه العمل على تحريك الوعي العربي وايقاظه من سباته، متناسياً بذلك الدور المناط به المتمثل بالثورة على الأوضاع والأحكام البائدة التي من شأنها العمل على إضعاف المجتمعات وسحق إنسانية الإنسان» (فتحي، ٢٠١٥: ١٥١). فلزام على المثقف أن يشارك هموم المجتمع ويعمل بوعيه على كشف النقاب عن تناقضات الواقع ورفض السلطة الجائرة وإجهاض أيدولوجياته والمحاولة لإحداث التغيرات الكبرى في نسيج المجتمع وذلك؛ لأن المثقف كما قال الجابري هو أكثر الأفراد مسؤوليةً عن مصير الشعب والمجتمع ولزام عليه أن يعمل لتجاوز العوائق التي تحول دون نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر عقلانيةً وإنسانيةً (مرشد محمود، ٢٠١٧: ٣٠) فإذا كان هذا هو مسؤولية المثقف في المجتمع وتخلى عنه وجاء في خدمة السلطة بدل أن يمارس دوره التوعوي في المجتمع والعمل على تشييد البنية الثقافية والاجتماعية وترسيخ القيم الانسانية فهذا هو مفارقة السلوك.

www.SID.ir

Archive of SID

المفارقة الدرامية

ومن أنماط المفارقة في خطاب بشرى البستاني المفارقة الدرامية وهذا النمط من المفارقة لا يقوم إلا على تصوير حالة أو حدث أو تبني موقف ما يمكن من خلال إدراك أبعاد كل منها أن تُرى فيها وجه المفارقة كما يمكن القول بأن المفارقة الدرامية تستند في تناولها إلى مرجعيات تاريخية وفكرية ونفسية ولهذا ذهب البعض إلى أنها لا تدرك إلا بعد الوعي بالحدث أو الموقف (غانم فضالة، ٢٠١٣: ٢٦)، كما يمكن أن يكون المفارقة الدرامية في التعارض بين الموقفين في قضية واحدة أو تطلق المفارقة الدراميّة عندما نرى «شخصيّة ما تتصرف بطريقة تتصف بالجهلِ بحقيقة ما يدور حولها أو الموقف الذي تجهل فيه الشخصيّة مصيرها في الوقت الذي يعلم الراوي حقيقة الأمر» (عمر خوشناو، ٢٠١٧: ١٥٢) وهذا هو ما يطلق عليه اسم المفارقة الدراميّة ونجدها في قصيدة أندلسيات لجروح العراق:

أخبئ جرحي في قلب ضمير الخيمةِ/ دمع التفاح دمٌ يتخثر في كأس عطشي/
نهران يدورانِ على جيد البستان/ يصلانْ/ بغداد بعكا... (البستاني، ٢٠١٢: ١٣٢)

فحدثت المفارقة بالتعارض بين ما يريده الاحتلال وما تراه الشاعرة بالرؤية المستقبلية فالاحتلال حدث بهدف نهب الثروات واقتلاع الشعب العراقي وطمس معالم الحضارة العراقية وأمركة أرض الرافدين وهذا هو الهدف الرئيس من الاحتلال الذي أجهض أحلام الشعب تحت ركام الصواريخ لكنَّ الشاعرة تجسِّد اجهاض الحلم الأمريكي بالرؤية المستقبلية وفي إطار الوعي الممكن وتكرّس أنَّ الغزو الأمريكي لا يستطيع أن يعرقل مسيرة العراق الحضارية والعراق يواصل فعله الحضاري ويواصل مسيرته الحضارية وهذا هو الحقيقة التي تجسدها الشاعرة بدوران النهران وهما دجلة والفرات واخذت الشاعرة النهر هنا رمزاً للحركة والفاعلية لتوجه شطر الذاكرة الى انتصار القضية على الغزو الاجنبي وما يعزز هذا المعنى هنا هو إقامة الصلة بين بغداد وعكا المدينة الفلسطينية والنهر يربط بين العراق وبين عكا المدينة الفلسطينية والارتباط بينهما بالبنهر وهو يحمل دلالات الحركة والاستمراريّة يؤكد حقيقة تؤمن بها الشاعرة وهي حتميّة انفراج العراق وفلسطين من المحنة واستمراريّة دورة الحياة فيهما ومثل هذا الضرب من المفارقة الدراميّة نجده في قصيدة في حديقة العراق:

ظلمات أمريكا تخيم فوق أشجار الهديل/ تحاصر غرّة الشرق النبيل/ تحاصر
صوت طلابي/ وتطلق نارها صوب جنائن/ صاروخ أمريكا يحوم حول الثور/
جاؤوك في سفر الظلال/ يمرِّغونك بالتراب/ ثكلٌ.. دمٌ.. دمعٌ../ فافتح الأبواب

www.SID.ir

Archive of SID

للحلم الجميلِ/ آشور ينهضُ/ صوتُ الحسينِ على المآذن/ تبقى الريحُ قبلتنا/
يبقى الفرات طريقهم إلى الموت (البستاني، ٢٠١٢: ٣٠٤)

والآخر الأمريكي جثم على العراق وحاصر الأرض حصاراً تاماً والصواريخ يحوم حول الثور الآشوري وحول جنائن نبوخذ نصر تعبيراً عما يهدف إليه الآخر الأمريكي وهو خراب العراق وطمس معالمه الحضاريّةِ المتمّثلة في الثور والجنائن وتتحقق المفارقة الدراميّة في هذا التشكيل الشعري بتكريس خلاف ما يهدف إليه عبر التعكز على الوعي الممكن وهو فعل النهوض والانبعاث وهذا هو ما يجهله الآخر الأمريكي الذي جاء إلى العراق وجعله عرضة للضياع والخراب؛ فالعراق هو أرض النهوض والمقاومة وأرض الرفض كما يجسّده حضور صوت الحسين على المآذن والمنابر وهو يواصل مسيرته الحضاريّة وتستعيد فاعليته الحضاريّة والآخر الأمريكيّ مآله إلى الموت والضياع وهذا هو ما يحقق البعد المفارقي الدرامي للتشكيل الشعري.

النتائج

إن المفارقة من أهم استراجيات الشعر الحداثي المعاصر التي يوظفها الشاعر المعاصر للتعبير عن تناقضات الواقع وإشكالياته وهي ثيمة أسلوبية تسهم في تحقيق نصية النص كما تضفي نوعاً من الموضوعية إلى الخطاب الشعري المعاصر وتثري عملية التلقي وتساعد المتلقي في الامساك على الدلالات النصية كما تفتح النص على التعددية الدلالية. احتلت تقنية المفارقة مكانة عظيمة في خطاب بشرى حمدي البستاني فقد استفادة الشاعرة تقنية المفارقة للتعبير عن تناقضات الواقع العراقي المعيش في زمن الدكتاتورية وعند الاحتلال الأمريكي الغاشم، فقد شهد العراق تردياً في كل المجالات وظهرت تناقضات واسعة في البنية الثقافية والاجتماعية مما جعلت بشرى البستاني تلجأ إلى هذه استراتيجية للتعبير عما يسود العراق من الاشكاليات والتناقضات آنذاك. فقد وظفت الشاعرة في خطابها المفارقة اللفظية تعبيراً عن رفض السلطة الدكتاتورية والاحتلال الأمريكي كما وظفت المفارقة التصويرية لتعبير عن التعارض بين ماضي العرب وحاضره وللتعبير عن تحطم القيم الإنسانية في زمن الدكتاتورية كما وظفت المفارقة السلوكية رفضاً لممارسات السلطة وما يقوم به المثقف ووظفت المفارقة التهكمية لتسخر بخواء الحضارة الأمريكية ولتسخر حاضر العرب الذي اتسم بالضعف والارتهان والتقوقع.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إبراهيم، عبدالله؛ وهويدي، صالح (١٩٩٨م). *تحليل النصوص الأدبية*: قراءة في السرد والشعر. بيروت: دار الكتاب الجديد.

٢. إبراهيم، نبيلة (١٩٨٧م). «المفارقة، فصول، القاهرة». *الهيئة العامة للكتاب*، العدد٣-٤، صص١٣١-١٥٧.

٣. ابن منظور، جمال الدين (١٩٩٧م). *لسان العرب*. ج١٠، بيروت: دار الصادر.

٤. أبوديب، كمال (١٩٨٧م). *في الشعرية العربية*. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

٥. البستاني، بشرى (٢٠١٢م). *الأعمال الشعرية الكاملة*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٦. البستاني، بشرى (٢٠١٥م). *وحدة الإبداع وحوارية الفنون*. عمان: دار فضاءات.

٧. الحويطات، مفلح (٢٠١٤م). «المفارقة في رواية ليلة عسل لمؤنس الرزاز». *مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية*، العدد ٢٨.

٨. ربابعة، موسى (٢٠١١م). *آليات التأويل السيميائي*. الكويت: مكتبة الآفاق.

٩. رستم پور ملكي، رقيه؛ مشكين فام، بتول؛ غلامي، مريم (٢٠١٦م). «مظاهر المفارقة في قصيدة لمن نغنّي لأحمد عبدالمعطي الحجازي». *إضاءات نقدية*، العدد٢١، صص٤٣-٦٢.

١٠. الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٩٨م). *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١١. شبانة، ناصر (٢٠٠١م). *المفارقة في الشعر العربي الحديث*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٢. الشرتح، عصام (٢٠١٢م). *الشعر والنقد: مقاربة لتجربة بشرى البستاني*. دمشق: دار التموز.

١٣. شيخو، لوئيس (١٩٤٩م). *المجاني الحديثة*. تحقيق: فؤاد إفرام البستاني، بيروت: الآداب الشرقية.

١٤. صيادي نژاد، روح الله؛ مؤذن زاده، زهرا (٢٠١٤م). «دراسة المفارقة في شعر سنائي وابن العربي». *مجلة اللغة العربيّة وآدابها*، السنة١٠، العدد٢، صص٢٧٧-٢٩٨.

١٥. طالب، عبدالقادر (٢٠١٦م). «شعرية المفارقة ودرامية النص الشعري: قراءة في قصيدة أبوتمام وعروبة اليوم». *مجلة الإنسان والمجال*، الجزائر، العدد٤، صص٤٤-٧٨.

١٦. العبد، محمد (١٩٩٤م). *المفارقة القرآنية: دراسة في البنية الدلالية*. القاهرة: دار الفكر العربي.

www.SID.ir

Archive of SID

١٧. العبيد، محمد صابر (٢٠١٠م). *العلامة الشعرية: قراءات في تقانات القصيدة الحديثة*. الأردن: عالم الكتب الجديدة.

١٨. عثمان عباس، شريفة (٢٠٠٩م). *أدوات البناء الفني في شعر أمل دنقل*. جامعة خرطوم، رسالة الماجستير.

١٩. عشري زايد، علي (٢٠٠٢م). *عن بناء القصيدة العربية الحديثة*. ط٤، القاهرة: مكتبة ابن سينا.

٢٠. غانم فضالة، حسن (٢٠١٣م). «أنماط المفارقة في شعر أحمد مطر». *مجلة جامعة بابل كلية التربية الأساسية*، العدد١٠، صص٢٤٩-٢٧٢.

٢١. فتحي، فات غانم (٢٠١٥م). *تداخل الفنون في الخطاب النسوي المعاصر*، شعر بشرى البستاني نموذجاً. عمان: دار فضاءات.

٢٢. قاسم، سيزا (١٩٩٣م). «المفارقة في القص العربي المعاصر». *مجلة فصول*، القاهرة، العدد٣، صص١٤٣-١٥١.

٢٣. قطوس، بسام (٢٠٠٠م). *مقاربات نقدية في الأدب الفلسطيني المعاصر*. عمان: دار الشروق.

٢٤. مرشد محمود، وسن (٢٠١٧م). *التابو وتشكلات السلطة في شعر عدنان الصائغ*. دمشق: دار التموز.

٢٥. ميويك، دي. سي. (١٩٩٣م). *المفارقة وصفاتها*. ترجمة عبدالواحد اللؤلؤة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٦. ناصف، مصطفى (٢٠٠٠م). *النقد الأدب ينحو نظرية ثانية*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

٢٧. هلال، عبدالناصر (٢٠١٠م). *الشعر العربي المعاصر*: انشطار الذات وفتنة الذاكرة. بيروت: دار العلم والإيمان.

٢٨. هياس، خليل (٢٠١٢م). *ينابيع النص وجماليات التشكيل*. عمان: دار الفضاءات.

www.SID.ir